الأمازيغية بين الصوت و الرسم

أ/ أنيسة بن تريدي

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة سعد دحلب – البليدة–

لا يمكن الإقبال على دراسة أيّ لسان دون ضبطه في نصّ مكتوب يمكّن الدارسَ من استنباط القوانين التي تتحكّم في نظامه اللساني. ولعل هذا ما جعل اللساني الفرنسي أنطوان ميي يقدّر عبقرية أولئك الرجال الذين اخترعوا الكتابة قائلا:« إنّ الرجال الذين اخترعوا وطوّروا الكتابة كانوا لسانيّين عظاما؛ إنّهم هم الذين اخترعوا فعلا اللسانيات»[1]. وقد سجّل لنا التاريخ كيف أنّ الأمازيغ ينتمون إلى صنف هؤلاء الرجال الذين عرفوا الكتابة كما تؤكّده الدراسات الحفرية.

فبالرغم من أنّ للأمازيغية كتابتها الخاصة، إلاّ أنّهاعاشت آلاف السّنين لغة شفويّة تصارع في صمت وعناد لغات الوافدين؛ وما عمّق طابعها اللهجي هذا، كوْنها لغة شفويَّة لم ترق أبدا في أي عصر من العصور إلى مستوى اللغة المكتوبة، فتستعمل في المجالات الثقافية والفكرية وحتى الإدارية، أو تسجِّل مآثر الناطقين بها رغم أنها كانت تملك رسوما خاصة. وفي خضم طموح الأمازيغ وسعيهم الدؤوب إلى تنميط ومعيرة اللسان الأمازيغي من أجل الحفاظ عليه – بعد بعثته– لإدماجه في المنظومات الاجتماعية والثقافية المختلفة: التعليمية، والإعلامية، والإدارية ...، يشكّل الفصل في اختيار الخط لتدوين الأمازيغية معضلة، كونه اتّخذ منحى إديويلوجيّا بعيدا عن المعايير العلمية والموضوعية، في مواجهة سوق الأبجديات التي تعرض ثلاث أنواع في تنافس شديد، هي:

– الأبجدية الأصلية: تيفيناغ، يدعّمها شعار مولود معمري – وإن لم يجسّده هو نفسه للاعتبارات المشار إليها أعلاه– "**الأمازيغية يجب أن تكتب بالأمازيغية**". كرمز للهويّة، ليس إلاّ.

– الأبجدية العربية، رسم القرآن الكريم، والكتابة التي خطّت بها مؤلفات عديدة لأوّل مرة في تاريخ هذا اللسان؛ كما تجمعهما خصائص وأصول مشتركة.

– والأبجدية الإغريقية– اللاتينية بحكم أنّ الأعمال اللسانية التي تولّت جمع المدوّنة وتوصيف نظامها قد تمّ في هذا الخطّ– مع التنبيه إلى أنّ الأعمال الأولى كلّها كانت تنسخ أمازيغيةَ الشمال بمختلف لهجاتها بالخط العربيّ اقتداء بتلك المخطوطات والمؤلفات المنسوخة بالعربية، تمهيدا للمرحلة الثانية وهي الإقلاع عن كتابتها بهذا الخط–، كما أنّ الأبجدية الإغريقية– اللاتينية – عموما–

هي الوسيط الخطّي للعلوم والتكنولوجيا في الحضارة المعاصرة. وإذا كانّ لكلّ خط مؤهّلات ترشّحه كوسيط تقني ووسيلة خطّية لرسم الأمازيغية، فلا شكّ أنّ الاختيار الاستراتيجي الأمثل هو الذي يخضع لاعتبارات علميّة لسانيّة من جهة، واعتبارات تاريخية وحضارية من جهة أخرى.

و إذا كانت علاقة اللّغة بالفكر والثّقافة علاقة وثيقة لا يمكن الفصل بينهما؛ فإنّ علاقة الكتابة بالتّاريخ وبالتّطور العلميّ أوثق ولا تقلّ أهمّية وخطورة عن الأولى. فهي الوسيلة الحضارية الكفيلة بتسجيل ماضيها وضمان استمرارها- بل بها تُوَّحد اللغة ويُضبط نظامها فتُحمى من الثغرات المستمرة التي تصيب اللغة المنطوقة وتجعل منها لهجات متفّرقة يزيد عامل الزّمن وسعة المكان في تكريس الاختلاف بينها- وهو الحال الذي آلت إليه فعلا الأمازيغية.

وفعلا لقد صدق ابن خلدون حين قال: "إن اللّغة ملكة اللسّان... [و] الخطّ صناعة ملكتها في اليد"[2] ؛ هذه الصّناعة- في الحقيقة- لم يتقنها الأمازيغ حتّى يحافظوا بها على ملكتهم اللّسانية؛ بل لم يستعملوها إلا بصورة بدائيّة ومحدودة، ولم يهتموا بتطويرها. فقد تطوّر- على سبيل المثال- خطّ المسند- الخطّ الحميري- مع تطوّر الحضارات العربيّة السّامية المتتالية إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن في الكتابة العربية[3]؛ بينما اندثرت الأبجدية اللّيبية وبقيت الآثار والنّقوش تشهد على بداية تاريخ وجود الكتابة في هذه المنطقة ليس إلّا.

وقد حاول الكثير من الأمازيغيين اعتبار هذه الآثار، على ضآلتها، شاهدا حيّا على أن الحضارة الأمازيغية ليست مجرّد حضارة شفويّة، لا ترقى إلى مصافّ الحضارات الإنسانيّة التي خلّدتها كتابتها بتسجيل إنتاجها الأدبيّ والفكري. إلاّ أنّ الواقع التّاريخي يؤكّد أن هذه الآثار و النّقوش اللّيبية القديمة مع قيمتها التّاريخيّة ودلالتها الحضاريّة- إذ هي شاهد قطعيّ على علاقة هذه المنطقة، حضارياّ، بآسيا الصّغرى- لم تحمل إنتاجا أدبيا أو ثقافيا علميا، ولم تستعمل إلاّ في النقوش الجنائزية.

ولئن لم يجد العالم المغربي المتخصّص في الأمازيغية محمد شفيق تبريرا لعدم امتلاك الأمازيغ أبجدية علميّة طيّعة يسجّلون بها لغتهم وآدابها، كشأن معظم اللّغات إلاّ هذا المبرّر الانطباعيّ: "إنّ اللّغة الأمازيغية جرّدها الزّمان من كتابتها... وإنّ النّاطقين بها لم يعنوا كثيرا بتدوين إنتاجاتهم الأدبية.."[4] دون أن يوضّح لنا كيف فعل ذلك الزّمان بهذه اللغة دون غيرها ؟ فإنّ العالم الفرنسي هنري باسي حاول أن يردّ سبب هذا الإهمال، لطبيعة المجتمع الأمازيغي؛ فهو يرى أن زوال أبجديّة- لم تترك في الواقع إلاّ آثارا فقيرة في عزّ أيّامها- إنّما يعود لأسباب داخليّة، لا تكْمن في الفقر الأدبيّ للفكر الأمازيغي ولكن في الحالة الاجتماعية لهذا الشّعب، الذي- في نظره- لم يعرف سيادة حضارية مطلقا، و إنما كان مجرّد مجموعات سكانيّة متخلّفة اجتماعياّ وحضارياّ [*] ؛ "لم يصل بهم التطوُّر إلى درجة تجعلهم يدركون أنّ الثّروة الفكريّة ممكن أن تودَع في الكتابة؛ فاللّغة عندهم كانت ولا تزال إلى الآن تقتصر على الفعل الكلامي فقط، فهي مجرّد شيء عفويّ ، والتّفكير في أنّه يمكن ضبطها خارج الفكر واللّسان لم يأتهم أبدًا"[5].

قد يكون في هذا الرّأي الذي ذهب إليه هنري باسي شيء من الصّحة على اعتبار أن سكّان هذه المنطقة الاستراتيجيّة كانوا دومًا عرضة للنّفوذ الخارجيّ، وبالتّالي لم يعش أهلها فترة استقلال يبنون فيها كيانهم الحضاريّ لغويا واجتماعيا. ولكنَّ السّؤال الّذي نطرحه هو لماذا لم يسجّل الأمازيغيون لغتهم إلا بالأبجديتين السّاميتين: الفينيقيّة ثم العربيّة؟ فهل مع هؤلاء الفاتحين تطوّر أخيرا الأمازيغيُّ وعرف قيمة الكتابة؟" كما برَّرَ ذلك هنري باسي، في تحليله لظاهرة نفور الأمازيغي من اللاّتينية، و اختياره للأبجديّة العربية دون غيرها من الأبجديات بعد تركه للّيبية، وتخلّيه حتّى على تيفيناغ قائلا: "لم يكن إهمال الأبجدية الليبية والتّخلي عنها بسبب ضعفها وعدم صمودها أمام الأبجدية اللاّتينية، بل لأنّها كانت أبجدية شعب لا يحتاج إليها، فهو لم يكن بعد– اجتماعيّا – جديرا بامتلاك كتابة عادية. ولمّا حان هذا الوقت... استعار البربر الأبجدية العربية"[6].

أم أنّ الأمازيغيّ بجذوره العميقة، وتاريخه العريق وإرثه السّامي الإضافي، قد اعتبر الأبجديّة العربيّة الشّكل المتطوّر "للبربرية" القديمة تماما كما أشار إلى ذلك عالم السّاميات "رينان" حينما قال: "فمنذ زمن بعيد قبل تأسيس قرطاج كان تأثير الجنس الكنعانيّ قد تمرّس في كلّ الشّمال الأفريقيّ؛ إنّ الأشكال المختلفة للأبجدية السّامية المتواجدة في هذه النّواحي لدليل على التّأثير المتواصل والمتكرّر دائما."[7]

ولعلَّ آخر كرّة هو استعارة الأبجدية العربية لكتابة الأمازيغية، تماما كما استعيرت البونيقية من الفينيقية، وما الليبية وبنتها ثفناغ إلاّ شكل من أشكال هذه الأبجدية السامية، وقد أبرز العلماء قرابتها من الفينيقية، بل ومن الحمْيرية أيضا.

ولكن ما يجب أن نضيفه في هذا الصّدد، هو أن الخطّ العربي لم يعد مجرّد كتابة سامية تناسب هذه اللّغة لما يحملانه من خصائص مشتركة، بل اكتسى طابعا آخر، طابعا أوسع وأعمق، فقد اقترن بالرسالة الإسلامية وما تحمله من أبعاد حضارية جديدة، حتى أن العالم المتخصّص في السّميات "ولفنس أبو ذؤيب" اقترح تسمية هذا الخطّ تسمية جديدة حيث يقول: "لمّا كانت الحروف العربية في الجاهلية ذات أسماء مختلفة خاصّة تعرف بها، ويتميز بعضها عن بعض، كان لا بدّ من إطلاق اسم خاصٍّ على الخطّ الذي نحن بصدده ليعرف به ويتميّز عن غيره، وقد رأينا أن ندعوه "الخطَّ الإسلاميَّ" لا لأنّه من مبتكرات الإسلام، إذ كان معروفا عند العرب قبل البعثة الإسلامية، ولكن لأنّ الإسلام كان السّبب الجوهريّ في انتشاره وشيوعه وبقائه إلى الآن في حين أن جميع الخطوط العربيّة الأخرى ضاعت ولم يبق منها سوى أسمائها وبعض آثارها."[8]

و لئن بدا "ولفنس" صائبا في رأيه هذا، إلاّ أنّنا نرى أن العبرة ليست في المصطلح، إذ أصبحت عبارة "عربية" مرتبطة بالإسلام منذ مجيئه، وإنّها فعلا استمدّت خلودها وانتشارها الواسع من مبادئه؛ إلّا أنّ اختياره كقالب حضاريّ وكلسان لخاتم الأديان، دليل على قوّة هذه اللغة حَطّا ولسانا عبر المراحل التّاريخيّة التي مرّت بها خلال تطوّرها.

1- الخطّ العربيّ أوّل خطّ تكتب به الأمازيغية:

فعلا فقد اتخذ الأمازيغيّ الخطّ العربيّ وسيلة لكتابة لغته، ولأوّل مرّة في تاريخ هذه المنطقة، بل في تاريخ لغتها وحضارتها خُطّت مؤلّفات في اللّغة الأمازيغيّة بالخطّ العربيّ؛ ولئن كانت في معظمها مؤلّفات دينية، الهدف منها نشر الدّعوة الإسلاميّة في الأوساط الأمازيغيّة التي لم تتعرّب بعد، حتى وصفها بعضهم نظرًا لاقتصارها على هذا المجال فقط "بلغة الدعوة والتبشير"[9]؛ إلاّ أنّ العبرة التي استوقفت الكثير من الدّارسين هو استعارة الخطّ العربيّ والتّأليف فيه، الشّيء الذي لم يحصل مع الحضارات السّابقة وكتاباتها؛ كما أشار إلى ذلك الفرنسي المتخصّص في اللهجات الأمازيغية: أندري باسي وغيره حيث أكّد على أنّ: "الحضارة البربرية حضارة شفويّة، ولكن – مع ذلك – توجد بعض المخطوطات لمؤلّفات خاصّة بنشر الإسلام في الأوساط التي لا تتكلّم العربيّة؛ إنّ هذه المخطوطات كلّها بالخطّ العربيّ. و تُعدّ دراستها في غاية من الأهمّية، إذ تشهد هذه المخطوطات – في الواقع – على توافق الأبجدية لِلغةٍ قد لا تكون بعض أصواتها مطابقةً لأصوات العربية، مثلا على وجهِ الخصوص ⵣ (زاي مطبقة). كما أنها أيضا مفيدة جداً في اطلاعنا على طريقة رسمها للحركات، وتبنّي شكل حروف المدّ للأصوات الطّويلة مقابل الأصوات القصيرة (الحركات)، وكذلك طريقة رسم الصّائت صفر... بالسكون".[10]

فبالإضافة إلى الشّهادة التاريخيّة التي يحملها هذا النصّ على اعتبار أن الأمازيغيّة دخلت مجال التّدوين والكتابة الواسعة بالخطّ العربيّ؛ فإنّه يعدّ شهادة قيّمة من عالم لسانيّ متخصّص في دراسة اللّهجات الأمازيغيّة، في أنّ الأبجدية العربية توافق أصوات اللغة الأمازيغية؛ بل حتّى المثال الذي استثناه، وهو حرف الزاي المفخمة ⵣ .كدلالة على وجود أصوات لا مقابل لها في الأبجدية العربية – وهو أمر طبيعيّ – ومع ذلك فإنّ هذا الصّوت منطوق به في العربية، وهو من الحروف الفرعية المستحسنة عند سيبويه.

ولعلّ أهمّ المؤلّفات قيمةً – والّتي مازال الكثير من مخطوطاتها يشهد على هذا الالتحام الثّقافيّ الفريد من نوعه – هي تلك المؤلّفات التي خطّها المهدي بن تمرت، وأهمّها الرسالتان: المرشدة، والتّوحيد[11]؛ أو تلك التي خلّفها الإباضيون منذ العهد الرّستميّ، وقد كانت أهمّ مراكز إشعاع هؤلاء الأمازيغ جنوب الجزائر، (وحات ورقلة ووادي ميزاب ووادي ريغ)، وجزيرة جربة، وجبل نفوسة. ويؤكّد هنري باسي — أخو أندري باسي– : " أنّهم يملكون كتبًا دينيّة مكتوبة في البربريّة."[12] إلاّ أنّه يضيف هذه الملاحظة الهامّة: "هذه الكتب نعرف محتواها... ولكن مع أنّ [هؤلاء الإباضيين]، في المناطق الثّلاثة حيث مازلنا نجدهم، لا زالوا يتكلّمون البربريّة إلاّ أنّهم ترجموا كلّ كتبهم – تقريبا – إلى العربيّة؛ يمكن أن نستشهد بأحد هذه الكتب: "العقيدة" المتّبعة بميزاب وجربة. كُتبت في البداية بالبربرية ثمّ ترجمها للعربيّة المدعو "أبو حفص عمر بن جمعة" النّفّوسي... في القرن التاسع الهجري (الرابع عشر من تاريخها) أي في زمن بعيد !".[13]

إذن فالملاحظة التي استوقفت باسي هو ترجمة هذه المؤلفات إلى العربية، رغم بقاء اللّغة الأمازيغية لغة تخاطب أهالي هذه المنطقة؛ أي التّخلّي عن مواصلة الكتابة في لغتهم.

والواقع أن الأمر لا يدعو للاستغراب، لأنَّ التّأليف في الأمازيغية إنّما كان من أجل نشر الدّعوة الإسلامية في الأوساط التي لم تتعّلم بعدُ العربيّة؛ وما أن انتشرت اللّغة العربيّة حتّى توقّف التّأليف في الأمازيغية، واختيرت العربية – عن طواعية– خطّا ولغة، اللّسان الحضاريّ لهذه الرّبوع الّتي لم تتخلّ مطلقا عن لغتها الأمّ: الأمازيغية، رغم تفضيلها استعمال اللّغة العربية، لغة القرآن والدّين الإسلاميّ.

وما يؤكّد ذلك، هو أنّ كلَّ ما دُوّن و خُطّ بالحروف العربية في لغة هؤلاء الأمازيغ، إنّما هي مواضيع في العقيدة والعبادة والفقه، أي ما له علاقة بالدّين الإسلامي. وفي هذا الصّدد يذكر باسي عن مُتِلَنْسكي مؤلَّفًا في الفقه العربي مُترجمًا و مُعّلقًا عليه بالأمازيغية تحت عنوان "مدوّنة ابن غانم"، وهو عبارة عن مجموعة من الفتاوى حول العبادات والمعاملات الشّرعية [14]، ملاحظا أن هذا المؤلَّف رغم حداثته مقارنةً بالمؤلّفات السّابقة إلاّ " أنّ أسلوبه ولغته (تراكيب، كلمات) يُعدّان أقلَّ تأثُّرًا باللغة العربية من المخطوطات المماثلة لها والمؤلّفة فيما بعد في منطقة سوس.[15]

ومهما يكن من أمر، فبالرّغم من أنّه لم يسجَّل قبل القرن التّاسع عشر أنْ دُوّنت آثارٌ أدبيّة، شعريّةً كانت أم نثريةً، ولا ثقافيّة فكريّة، وإنّما بقي هذا الإنتاج شفويّا تتوارثه الألسن وتحفظه الذّاكرة.

إلاّ أنّ استعمال الخطّ العربي لكتابة الأمازيغية دليل على الانتشار الواسع الذي عرفته اللّغة العربيّة وأبجديتها السّامية، "فقد سبق للخطّ العربيّ أن انتشر في بلاد كثيرة في آسيا وأوروبا وأفريقيا، وسار مع الإسلام أينما سار الإسلام. فاستعمله الفرس والتّرك والهنود والملايو، وشعوب مختلفة في إفريقيا."[16]

و تجدر الملاحظة أنَّ الخطّ العربيّ قد استعملته حتى اللّغات التي تختلف خصائصها عن العربية؛ إذ يؤكّد في هذا الصّدد الأب دورم أنّه من بين اللّغات غير السّامية التي تبنّت الكتابة العربيّة بواسطة الإسلام إضافة إلى الفارسية والتركية، نجد الكردية، الأفغانية، الأندستانية (الأُردية) الملاوية، الجفانية، البربرية[17]، الهوسا، السّواحلية الملغاشية...[18]

ولئن عدّ الأب دورم "البربرية" من اللّغات غير السامية، إلاّ أنّ تأثير العربية في هذه اللّغة لم يختلف كثيرا عن تأثيرها في اللّغات السامية في المشرق نظرا للخصائص المشتركة التي تحملانها، مما جعل "رينان" يؤكّد على أنّ السّهولة التي تمّ بها انتشار اللّغة العربية، والزّوال الكليّ للاّتينية إنّما سببه وجود طبقة سامية أولى في هذه المنطقة، وما العربية إلا حلقة مكمّلة، وتطوُّر مستمرٌّ وطبيعيّ لجميع هذه اللّغات الّتي لم تشذَّ الأمازيغيّة عنها.

ولكنّ الوضع بدأ يتغيّر مع مطلع القرن التّاسع عشر، إذ حاول المستشرقون الفرنسيّون – على وجه الخصوص– أن يحيدوا به عن مساره الحضاريّ بإبعاده عن شكله العربيّ وعمقه السامي، خلال أبحاثهم الميدانية الحثيثة لجمع اللّهجات الأمازيغية قصد إعادة بعثها من جديد.

2– القضاء التّدريجي على الكتابة بالحرف العربي:

في بداية الأمر كان هؤلاء المستشرقون يستعينون بالخطّ العربيّ لكتابة اللّهجات الأمازيغية، نظرا لكونه الخطّ الّذي استعمله الأمازيغيّون أنفسهم لكتابة لغتهم، –وكان هؤلاء المستشرقون أوّل من نشر تلك المخطوطات– وقد يكون أيضا تفاديا لأيّة مواجهة مع أهالي المنطقة الّذين يقدّسون اللّغة العربيّة ورسمها كما يقدّسون الدّين تماماً؛ وأيضا لاعتبارهم أنّ الخطّ العربيّ هو الخطّ الأنسب للأمازيغية على حدّ تعبير فانتور دي بارادي الذي اعتمد هو نفسه في دراسته للّهجة القبائليّة، على الخطّ العربيّ، كأبجديّة أصليّة لهذه اللّهجة، مقابلا إيّاها بالأبجديّة اللاّتينيّة لتقريبها من القرّاء الفرنسيّين لأنّهم هم المعنيون أصلا بهذا العمل.

وعلى نهج فانتور، سار مستشرقون آخرون لعلّ أهمّهم المستشرق الفرنسيّ روني باسي والد الأخوين هنري و أندري باسي، المتخصّصيْن أيضا في دراسة اللّهجات الأمازيغية. فقد حافظ هو الآخر في تعامله مع الأمازيغية بمختلف لهجاتها بخطّها المناسب أيْ: بالخطّ العربيّ بالنّسبة للهجات الشّمال و بثفناغ بالنّسبة للّهجات الجنوبيّة التي احتفظت بأبجديتها، مع الحفاظ على تسجيل كتابتها من **اليمين إلى اليسار** كما هو معمول به أصلا في تدوين هذه الأبجدية.

و الملاحظ أن روني باسي في كلّ أبحاثه، يكتب الكلمة الأمازيغية في مختلف اللهجات بالخط العربي ثم الفرنسي، أو بخط ثفنّاغ ثم الفرنسي، تأكيدا على أن الكتابة الأصليّة هي إمّا الخطّ العربيّ أو خطّ ثفنّاغ.

وبغضّ النظر عن الأهداف المقصودة من وراء جمع الآثار الأدبيّة الشفويّة لمختلف اللّهجات الأمازيغية، واصل هؤلاء االباحثون أعمالهم الميدانيّة المتبوعة بدراسات تاريخيّة ولسانيّة: صوتيّة،وصرفية، ونحويّة؛ لمختلف اللّهجات، ممّا بدأ يعطي أهمية واضحة للكتابة اللاتينية، ولم يعد يمثّل الخطّ العربيّ إلاّ شكلا ثانويا بدأ التّمهيد للاستغناء عنه يلوح في الأفق.

ثم تُوّجت هذه الأعمال بإدخال الأمازيغية – اللهجة القبائلية على وجه الخصوص – ، مجال التّعليم وأُصْدِر مرسوم سنة 1885 يسمح بالقبول لتحضير "شهادة في اللّغة القبائليّة" من كليّة الآداب بجامعة الجزائر[19]. وقد اشتُرِط، سواء في إعداد أسئلة الامتحان أو في الإجابات المقدَّمة، ما يأتي: "يجب أن يكون نسخ القبائليّة بالحروف الفرنسيّة والعربية."[20] وليلاحظ القارئ الأولويّة المقصودة في هذا التّرتيب.

3- قرار تعويض الخطّ العربيّ بالخطّ اللاّتيني في كتابة الأمازيغيّة:

فعلا لقد صدق ابن منصور حين أَكَّدَ قائلا: "لولا المجهودات العظيمة التي بذلها الفرنسيّون طيلة 130 سنة في محاربة العربية وخلق قومية بربريّة لاستعراب الشّمال الإفريقيّ كلّه"![21]

إذ بدأت فكرة الاستغناء عن الخطّ العربيّ كمرحلة ثانية بعد إعادة بعث اللهجات الأمازيغية تتجسّد في أرض الواقع، وذلك عندما قرّر الجنرال هانوتو كتابة اللّهجة القبائليّة على وجه الخصوص بالحروف الفرنسيّة معلنا: ... أُقْلِعُ عن فكرة استعمال الرموز العربيّة للتّعبير عن أصوات اللّغة القبائليّة".[22] و يبرِّر موقفه هذا الذي يعد منعرجا خطيرا في تاريخ هذه اللغة، بقوله:"إن طريقة الكتابة بالأحرف العربية لا تُغني عن الكتابة بالفرنسية، فيصبح بالتّالي عملا مضعّفا دون فائدة."[23] إلاَّ أنَّ هذا التّبرير الذي قدّمه هذا الجنرال، يتخلّى عنه في الدّراسة[24] التي خصّصها للهجة الطّوارق، حيث استبقى حروف ثفناغ رغم أنّها لم تغنه هي الأخرى عن الكتابة بالفرنسية.

ولئن كان القصد هو التّلميح إلى أنّ الخطَّ العربيّ، ليس الخطّ الأصليّ، إلاّ أنّ المستشرقين أنفسهم أكّدوا على طواعية اختيار الأمازيغيّ لهذا الخطّ، دون الخطوط الأخرى، بل راحوا يبحثون – مستغربين- عن الأسباب التّاريخيّة والاجتماعيّة وحتّى النّفسيّة التي جعلت الأمازيغيَّ ينفر من الكتابات الأخرى، ويتبنّى عن طواعية الخطَّ العربيّ. وهذا القصد الذي يرمي إليه هانوتو قد صرّح به، وجعله السبب الآخر لإقلاعه عن استعماله الحرف العربي، مبرِّرا أنه مادام أنّ القبائل لم يعد يملكون أبجدية خاصّة بهم لتمثيل أصواتهم، و أنّ: "النّاس الذين يتكلّمون القبائليّة يستعيرون من العربيّة رموزها حينما يريدون تسجيل أفكارهم، وهو أمر نادرا ما يحدث ... فإنّ كلّ واحد عند استعماله لهذه الحروف الأجنبية، لا يملك قاعدة مضبوطة، بل يتّبع الطريقة التي يراها مناسبة للتعبير عن أصواته، ونستنتج من كلّ هذا، غيابا كلّيا لقواعد الكتابة..."[25] ولا يكتفي بهذا التصريح- وهو المقصود أصلا- أي أنّها حروف أجنبية، بل يضيف في نهاية عرضه مختلف الصعوبات التي تمليها طبيعة الخطّ العربي[26]. ليتّخذ في الأخير موقفه المتمثل في رفضه لاستعمال الرموز العربية واستبدالها نهائيّا بالرموز الفرنسية، موضّحا: "إن هذه المشاكل لا يمكن أن نتفاداها إلا بوضع قواعد اصطلاحية، أي اختراع قواعد إملائية صورية جعلني أقلع عن فكرة استعمال الرموز العربية للتّعبير عن اللغة القبائلية."[27]

والواقع أن هانوتو لم يخترع كتابة اصطلاحية، صوريّة ولا أحدث قواعد خاصّة وإنّما اكتفى بوضع أسس لتغيير حضاريٍّ سيتعزّز شيئا فشيئا! إذ بدّل الحرف العربيّ بالحرف اللاتيني، وحفاظا على نقل الأصوات القبائلية بدقّة أضاف:"بالنسبة للأصوات القبائليّة الموجودة في الأبجدية العربية والّتي لا نملكها في الفرنسيّة تبنّيتُ الحروف الاصطلاحيّة الآتية:

ه	ق	غ	ع	ض	ص	ط	ذ	خ	ح	ث
H [28]	k'	r'	â	dh	ç	t'	d'	kh	h'	th

أي أحد عشر حرفا؛ بالإضافة إلى أصوات أخرى لا توجد في العربية. هذا هو المنهاج الجديد الذي وضع أسسه الجنرال "هانوتو" رفضا للخطّ العربيّ بكلّ أبعاده!

وبعيدا عن رأي ومشاركة الأهالي الّذين لم يولوا في هذا الوقت العصيب أيَّ اهتمام بهذه الأعمال، بل رفضها معظمهم جملة وتفصيلا، متمسّكين أكثر بمبادئهم الكبرى للتّصدّي لهذا المستعمر وكلّ ما يقدّمه. واصل اللغويون عمل هانوتو، وعملوا على تطوير هذه الأبجدية التي بدأ يؤلّف بها اللسانيّون والأدباء[29].

وفي هذا المجال، مجال تطوير الأبجدية– الفرنسية– وتكييفها مع الأصوات الأمازيغية وبخاصّة القبائلية، نسجّل عمل أندري باسي بمعيّة بكار [30]، اللّذين حاولا أن يبسّطا هذه الأبجدية، معتمديْن على القاعدة الاقتصادية في الكتابة: لكلِّ صوت حرفٌ معادل؛ وهي الأبجدية التي تبناها كلٌّ من الراهب الأب دالي "Père DALLET" والراهبة الأخت فنسن " SR VINCENNES"، المشرفيْن على مركز الدّراسات البربريّة المعروف: Fichier de documentation berbère .

وها هي الحروف المقترحة، منها ما هو أساسيّ، ومنها ما هو فرعيّ خاصّ بمنطقة دون أخرى أو فئة دون الأخرى:

“ p, p˚, b, bˇ, b˚, m, w, f, v, t, tˇ, ṭ , ţ, d, ḍ, l, ḷ, r, ṛ, n, ṣ, s, ş,
[31]z, ẓ, z, c, c, c, j, j, j, y, k, kˇ, g, ğ, k˚, kˇ˚, y, y˚, q, q˚, ɛ, h˚, ḩ, ḥ.”

مع إضافة الصّوائت الثّلاثة: "a, i, **u** (se prononce ou)".[32]

وقد سهر مركز الدّراسات البربرية: " F.D.B" على نشر عدّة مؤلّفات بهذه الكتابة التي أُدخلت فيها الحروف الإغريقية كما استُعملت فيها الحركات والنقاط تعويضا لبعض الحروف التي وضعها هانوتو، واتّبعه في استعمالها بوليفة، وفرعون وغيرهما، مع تغييرات محدودة كاستعمال، "gh" عوض "ŕ" أو "q" عوض "k".

وهذا جدول يبيّن التّغيير الحاصل بين أبجدية هانوتو الموضوعة في نهاية القرن التّاسع عشر، وأبجدية كلٍّ من باسي و بكار الموضوعة في مطلع القرن العشرين، وكلتاهما من وضع فرنسيّ واضح. نكتفي بذكر الحروف التي مسّها التّغيير فقط ، وهي كالآتي:

الرمز الذي استعمله هانوتو	الرمز الذي استعمله باسي وبكار	الحرف العربي المعادل
Th	t	ث
h'	h	ح
Kh	h ´	خ
d'	d	ذ
t'	t •	ط
Ç	s •	ص
Dh	d •	ض/ظ
Â	ϵ	ع
r'	δ	غ
k'	q	ق
H	h	ه

ومن بين المؤلّفات التي كتبت بهذه الأبجدية المنقّحة، إضافة إلى مؤلّف باسي وبكار: "مبادئ في نحو البربرية" المذكور سابقا، نذكر على سبيل المثال فقط مؤلّفات القسّ دالي.[33]

و تَمَّ تتويج هذه الأعمال التي تفانى الفرنسيون في إعدادها وتنقيحها مرحلةً مرحلة حتّى تتكيّف مع الصوت الأمازيغيّ، بتعديلات أخرى لأبجدية باسي، وتتمثّل هذه التّعديلات في الاستغناء عن تلك العلامات (نقاط، وحركات) المصاحبة للحروف المعدّة للتّعبير عن الصّوت الأمازيغيّ. وهذا ما قام به ووضّحه مولود معمري قائلا: "إنّ النّظام الذي تبنّاه وعمل به أ.باسي... اهتماما منه بالدّقّة والصّرامة اللّغوية يُكثر من العلامات المصاحبة للحرف. فالنّصّ، مع سهولة قراءته، إلاّ أنّه في المقابل هو عبارة عن جهاز مثقل بالعلامات التي تُصعِّب من الكتابة اليدويّة، وتجعل الكتابة المطبعيّة مستحيلة تقريبا."[34]

وعُدّلت هذه الأبجدية التي أصبحت تعرف بالأبجدية الإغريقية–اللاتينية؛ لتُختار كَنِظام أبجدي لكتابة الأمازيغية؛ و هذا جدول قابلْنا فيه بين رموز هذه الكتابة، كما رتّبها مولود معمري في جدوله[35]، و بين رموز الكتابة الصوتية العالمية، وحروف اللغة العربية.

الرموز الإغريقية–اللاتينية	ما يـقابلها	
	الرمز الدولي	**الحرف العربي**
a	ɑ	أَ
ɛ		ع
b	b	ب
c	š = ʃ	ش
č	tš = tʃ	تس
d	d	د
ḍ	ḍ = /d	ظ/ض
e		

f	f	ف
g	g	ق /
g	dz = ǧ	ج
ɣ	g = ɣ	غ
h	h	ه
ḥ	h = ḥ	ح
i	i	إ
j	z	ج
k	k	ك
l	l	ل
m	m	م
n	n	ن
q	q	ق
R	r	ر
Ṛ		/ راء مفخمة
S	s	س

S .	S .	ص
T	t	ت
T .	t	ط
T	ts	
u	u	أُ
w	w	و
X	X= h ر	خ
Y	y	ي
Z	z	ز
Z .	z .	صز :ز مطبقة

هذه هي إذن الأبجدية التي اتّفق اللّغويون المتخصّصون في اللّهجات الأمازيغيّة على استخدامها في كتابة الأمازيغية.

و هي متكوّنة أساسا من الحروف الفرنسية (اللاتينية) أضيفت لها حروف من الإغريقية : :غ ɣ X :خ ؛ ε :ع ؛ وأخرى من الأبجدية الصوتية العالمية التي من بين حروفها أيضا الحروف الإغريقية المذكورة مع إضافة : h ، t، d ، z ، u ،s (منقوط أسفلها)، وهي حروف يستعملها المستشرقون في كتابة العربية أيضا؛ واختيارُها- كما نلاحظ- لم يكن مبنيا على دراسة لسانية، أو وفق معيار علمي معيّن؛ و إنما كانت تغييرا مقصودا، وضع أسسه الجنرال هانوتو، مبررين موقفهم- في بداية الأمر على أنّه مجرد وسيلة لتقريب هذه اللغة من الدّارسين الفرنسيين؛ لتُّطَوَّر ثم تُفرَض – بحكم تلك الجهود المبذولة- أبجديةً للأمازيغية عوض الليبية، أو ثيفيناغ أو العربية.

وتختفي أسماء: الجنرال هانوتو، وباسي، والأب دالي، والأخت فانسن وغيرهم من الدّارسين الفرنسيين وراء أسماء أمازيغية: سعيد بوليفة، مولود فرعون، مولود معمري حتى يُعطى هذا العمل المصداقية المحلّية، ويحظى بالقبول والتّزكية، ولتصبح هي الأبجدية" البربرية" المعمول بها، وكثيرا ما تنسب هذه الأبجدية للأديب مولود معمري، وقد وضعت قبل أن يولد.

هكذا تعالت أصوات (بربرية) تنادي باستعمال الأبجدية الفرنسية، ما دام هذا النّظام الّذي جاء نتيجة مجهود متواصل دام عقودا من الزّمن في خدمة لغة استبدلها أصحابها الشّرعيون بغيرها، جسّدته أعمال عديدة متنوّعة تفانى في إنجازها علماء مختصون. وعليه فلابدَّ أن نحترم أصحاب الإنجازات الكبرى! و نقدِّر جهودهم المضنية، وبجازيَهم على أعمالهم العلمية المختلفة، واهتمامهم الكبير في إعادة بعث اللّغة الأمازيغية!و هو الأمر الّذي لم يهتمّ به- مطلقا – الأمازيغ أنفسهم قبل 1930، فنقدِّم لهم لغتنا و ثقافتنا يشكلونها و يهيكلونها في نظام مغاير على حساب خصائصها اللّغوية والتّاريخية والحضارية!!!

ولكن لابدّ من الأخذ بعين الاعتبار أنّ الأمر يمسّ بناء صرح ثقافة أمّة، يجب أن تحقِّق ذاتها المتميّزة و أصالتها ولا يأتي ذلك بالبحث عنها إلاّ في ثنايا تراثها، وفي عمق تاريخها حتّى تتواصل حلقات سلسلة وجودها دون انقطاع أو انحراف.

وإذا كانت سنّة التّطور تقتضي التّغيير والتّحسين لمواكبة العصر، ومتطلبات العلم، فيجب أن يتم ذلك وفق شروط؛ ولا يكون أبدا على حساب أصالة شعب، ولن يتحقق التطور بالانسلاخ من المميّزات الشّخصية لأن الأعماق ثابتة، وقد تنفر من أشكال الغربية التي لا تجسّدها، آجلا أو عاجلا.

فللغة الأمازيغية نظامها الأبجدي الخاص بها، ومع ذلك فقد اختار الأمازيغيون بأنفسهم ومحض إرادتهم . وقد ذكرنا شهادات المستشرقين سابقا الخط العربي لاعتبارات حضارية دينية فعلا؛ ولكن ما أكده علماء اللغة –كلّهم بدون استثناء – أن هذه الكتابة هي الأنسب علميا- بمفهوم اللسانيات – فحروف الإطباق، والحروف الحلقية وظاهرة الإدغام والإعلال... تناسبها في ذلك الكتابة العربية. فالنظام اللغوي للأمازيغية: الصّوتي الصّرفي والنّحوي يشبه إلى حدّ بعيد النّظامَ العربي. فما هو المانع علميا وموضوعيا الاستمرار في كتابتها بالأبجدية المناسبة لها، أي الخط العربي؟ خاصة وأنّ البعديْن التاريخي والحضاري يعطيانه الأولويّة والشّرعيّة، فقد كتبت به لهجات هذه المنطقة، فضلا عن كونه شكل لغتها اللغة العربية، التي حلّت في هذه الربوع بحلول الإسلام، وحل الخطّ العربيّ، الساميُّ الخصائص معهما، فهُجرت الحروف الليبية واتُّخذ الحرف العربي أداة للأمازيغية.

4- الإصرار على محاربة الخط العربي:

وإذا كانت الكتابة – فعلا – عبارة عن رموز اصطلاحية مرسومة، اخترعت لتأدية وظيفة الرموز المنطوقة وحفظها، إلا أن أخطر وظائفها على الإطلاق، هي تلك الوظيفة الحضارية المتمثّلة في حفظ مآثر الفكر واللّغة عبر الزّمان والمكان. و لهذا:

"فالكتابة مرتبطة باللّغة أيَّما ارتباط"[36]، كما هي مرتبطة "ببنية اللغة"[37]؛ وبالتالي فالحفاظ على شكلها وخصائصها مع تطويرها[38]،إنّما هو الحفاظ على الخصائص الثّقافية التي تميّز أيّة أمّة: لغة وفكرا وقيماً؛ وليست مجرّدَ شكل لا أهمّية له؛ وإلاَّ لما كان مجالا للصّراع ولما أصرّ هؤلاء على محاربة الخطّ العربي ومحو آثاره بمختلف الطّرق، واستبداله بالخط اللاتيني، "لأنهم يدركون أن الحرف ليس مجرّد شكل ... [بل] يعلو فيما يرمز إليه على كلّ الرّموز التي تمجّدها الأجيال المعاصرة مثل العلم والنّشيد وغيرهما... على أن الحرف هو في الواقع اختيار حضاري. وكلّ الاختيارات الحضارية تنزع إلى العمق والجوهر حتى وهي تقع على أشكال".[39] ولهذا انصبّ اهتمام اللّغويين الفرنسيين على غرار الغربيين عموماً[40] على إعادة بعث اللّهجات الأمازيغية بالكتابة اللاّتينية، معلنين بذلك حملتهم على اللّغة العربية وكتابتها.

وفعلا حوصر الحرف العربي في هذا المجال، بل ويتواصل الإصرار على كتابة الأمازيغية بالخط اللاّتيني بعد الاستقلال، ولم يجد المنادون بهذا الشّكل التّغريبي إلاّ هذيْن المبرّرين المفتعليْن، أحدهما من وضع الغربيين أنفسهم، والآخر قد يكون انبهارا سطحيا بالتّقدّم العصري، لأننا لا نملك بعد القدرة الحقيقية للوصول إليه، ولن نصله بالانسلاخ من ذواتنا.

أمّا الأوّل: صعوبة الخطّ العربي كما وضّحه في الواقع هانوتو، و ردّده كثيرون من بعده.

وأمّا الثّاني: استعمال الخطّ اللاتيني يقرّب من التّكنولوجيا وقد يلحق بركب هذه الحضارة دون غيره. وهي في الواقع تعليلات وهمية لا تمت بصلة إلى خصائص اللّهجات الأمازيغية مطلقا، فهي إذن ليست اختيارات علمية فرضتها بعض الحقائق اللسانية، وإنّما هي مواقف حضارية منحرفة – في نظرنا – تحتاج إلى دراسات تصحّحها.

ولعلّ من بين هذه الصّيحات، نذكر صيحة أيت عمران إدير، الذي صرّح قائلا: "إذا أردنا أن تعيش الأمازيغية يجب أن نقرّبها من اللغات المتطورة"[41]، الإنكليزية أو الفرنسية. وإذا كانت الأولى صعبة في نظره فإن الثانية "سهلة، مادامت فرنسا قد بقيت مدة 130 سنة في بلادنا، درسنا لغتها وأدخلناها في الإدارة، كما تركت لنا إطارات عليا كبيرة"[42].

أما "الأبجدية الأمازيغية (ثفناغ) و كذا الأبجدية العربية فتنقصهما الصّوائت (الحرفية) لهذا اتفقتُ مع المرحوم مولود (ن) أيت معمر في يوليو 1948 على اختيار الأبجدية اللاتينية التي تملك كل الحروف التي نحتاجها."[43] ويقصد الأبجدية الإغريقية– اللاتينية؛ ولكن سرعان ما يضيف– مكرِّسا بذلك أهمَّ أهداف المستشرقين– قائلا الآتيَ: "فعلا اتفقنا– في يوليو 1948– أنا والمولود أيت معمر [مولود معمري] رحمه الله على استعمال طريقة كتابة المتخصّصين في اللّهجات الأمازيغية– الفرنسيين باسي، كروزي وبكار– حتى نربح الوقت ولكني الآن غيّرتُ رأيي."[44]

و لئن كانت هذه الفقرة شهادة صريحة على أن واضعي ما يسمى بالأبجدية الأمازيغية – و"هو النظام الذي مازال يستخدمه – في يومنا هذا– جلُّ الباحثين والمنتجين"[45] – هم الفرنسيون، وما فعله التلاميذ التابعون لهم من البربر هو الاجتماع للاتفاق على استعمالها؛ إلاّ أنّ خاتمة الفقرة: "... حتى نربح الوقت، ولكني الآن غيّرتُ رأيي"، تجعلنا نعتقد أنّنا إزاء مفكّر قد أخذ الآن متّسعا من الوقت لتوظيف الخط الأمازيغي – أصلا أو اختيارا – أيْ إمّا:

* خطّ ثفناغ وتطويره. شأن كل الكتابات التي طوّرها أصحابها بعدما كانت هي الأخرى بدائية – ليكون دون بديل آخر– كتابة هذه اللغة تماما كما فعلت إسرائيل "التي لم ترض أن تتبنى لغة من اللغات الغربية عرفانا لأهلها، ولا حتى الحرف اللاّتيني، بل حرصت على أن تحيي لغة كانت منسية وتبعث أبجديتها من مرقدها ولعلّها حقّقت بها من التّقدم ما لم تحقّقه تركيا.."[46]

* أو تكييف الخط العربي وتيسير كتابة الأمازيغية به كاختيار حضاري معمول به منذ قرون خلت.

إلاّ أنّ آيت عمران يرى أن منطق التّقدم يقتضي تجاوز هذه "الاعتبارات ذات الطّابع العاطفي والوطني والدّيني"[47]! ويقترح الكتابة اللاّتينية المحضة – بدون الحروف الإغريقية والعلامات الصّوتية المضافة– قائلا: "إنّ اختيار الأبجدية اللاّتينيّة هي في نهاية الأمر ضرورة".[48] ملخّصا هذا الاختيار الضَّروري كالتّالي: "بعد سنوات طويلة من الدِّراسة والبحث والتَّجربة أرى أنّه يجب أنْ نجتنب التّفرّد بدون فائدة، ومن الأفضل أن نتبنّى الأبجدية اللاّتينية فقط: بدون حروف إغريقية أو إشارات إضافية حتى نصطفَّ بجانب اللّغات الكبرى الحديثة".[49]

ومشيدا بمقال وصله وهو بصدد طبع كتابه المذكور أدناه، فأضافَهُ في نهاية الكتاب، وهو مقال بالفرنسية لم يذكر صاحبه، صادر عن جمعية "ثَمَيْنُوتْ" بالرّباط تحت عنوان "العجلة ليست لإعادة الاختراع" مما جاء في نهاية هذا المقال ما نصّه: "من بين أسباب تأخُّر لغتها فعلا هو شكلها الخطيّ... ومع ذلك تبقى ثيفيناغ أحد روابط هويتنا، ووسيلة ممتازة لتحسيس الرأي العام، و رمز هام لثقافتنا يجب الحفاظ عليه؛ إلاّ أنّ الكتابة اللاّتينية ضرورية للّغة الأمازيغية حتى تصل إلى وضع محترم بين لغات متوسّطية وعالمية، وكل اختيار آخر بما فيه الحروف الإغريقية–اللاتينية بالعلامات الإضافية يؤدي مباشرة إلى متاهة صعبة، ومجال تقني محدود يحطِّم كل طموح في تطوير وترقية لغتنا... إن للغتنا الحقَّ في الاستفادة من كلّ الوسائل التّكنولوجية وحتى ننجح في نشرها ... حلٌّ واحد ممكن: السّتة والعشرون حرفا لاتينيا بدون علامات مصاحبة أو نقاط تحتية، الحرف اللاّتيني بالنسبة للأمازيغية لم يعد اختيارا بل أصبح ضرورة."[50]

لن أعلق مطوّلا على هذا النصّ، وأترك للقارئ عناية التّأمّل فيما ورد فيه لأنّه لا يقدّم لنا في هذا البديل المقترح الأسبابَ الموضوعية، سواء لسانية علمية: كتماثل الأنظمة الصّوتية أو الصّرفية والنّحوية فيرجَّح هذا الاختيار. أو أسباباً تاريخية وأبعادا

حضارية مشتركة تبرّر هذا الاختيار، الّذي يجعل من لغة .كيف ما كانت تربط مصير أجيالها بما لا تمتُّ بصلة إليه، وتصرُّ على قطع حلقات سلسلة التّواصل التي تربط هذه الأجيال ومستقبلها بجذورها الأولى.

والواقع أن إرجاع سبب تأخُّر هذه اللغة إلى شكلها الخطي الذي لم تستعمله إلاّ نادرا أو بصورة محدودة بل تخلت عنه منذ فجر التاريخ؛ ولم تحاول أن تعود لتطوّره وتستعمله خلال النهضة التي تولت بعثتها- فرنسا- كما طوَّر العربي، أو الإغريقي أو اللاتيني أبجدية لغته لتفيَ بمختلف مقاصده الثّقافية والحضارية؛ لَدليل ليس على العجز والوهَن الذي آلت إليه مثل هذه العزائم فقط، بل على السلبية وقابلية التقليد المغروسة عند مثل هؤلاء المثقفين، التي تجعلنا نضطرّ إلى تصديق وقبول نتائج الدّراسة النّفسية إلى استخلصها هنري باسي وضمنّها دراسته المشهورة "محاولة في أدب البربر" منها قوله: "يملك البربريُّ، في مواجهة حضارة أرقى من حضارته، استعدادات عجيبة لتبنّي مباشرة ما يذهله وما هو في متناوله ولكن ما يلاحظهُ إنما هو أساسا الشّكلَ الخارجيَّ للأشياء: هنا تتوقّف نظرته واقتباساته ... فهو يستتر بطلاء أجنبي، مكْتفيا بذلك، إنّه يقلِّد، لا يستوعب ... وما دام البربري لا يستوعب أبدا، فهو لا يستطيع أن يواصل وحده الطريق الذي يبدو أنه سائر فيه موجّها."[51]!!!

ثم يضيف أيضا "... حتى وإن كان البربريُّ يقلّد بسهولة، ويستوعب بصعوبة، بل تحت طلاء الثقافة الأجنبية الذي يغطّيه، يبقى في الواقع ذلك البربريَّ العتيق صاحب الطبع الثابت"[52]! ومع أنّنا نأخذ هذه الآراء بكلّ تحفّظ، إلا أنّ مطابقتها لمثل هذه المواقف التي قدّمناها أعلاه تبدو مناسبة جدّاً؛ وإلاّ كيف نفسّر، ليس التّراجع على الكتابة الإغريقية-اللاتينية، بل الرّجوع إلى الكتابة اللاتينية؟! بعدما واجهت الكتابة السابقة أُولىَ صعوباتها سواء في المتطلبات التّكنولوجية أو المجال التعليمي التربويّ، والاستنجاد مرة أخرى بهذه الأبجدية التي طوّرها وطوّعها أهلها لمآربهم، عوض مواجهة تلك المشاكل والبحث على حلول بجهود خاصّة ومعطيات تنبع من الفكر الذاتي.

وبهذه الدعوة التي ينادي بها آيت عمران وشرّاد وغيرهما تُغلق الحلقة المفرغة التي وُضعت فيها الأمازيغية، ونعود مرّة أخرى إلى المنطلق. أي: إلى الأبجدية الفرنسية التي وضعها الجنرال الفرنسي هانوتو، مع تنقيح بسيط قد يكون مأخوذا من المستشرق الفرنسي فنتور دي بارادي لأن الرموز التي اختارها أيت عمران لتعوِّض الحروف الإغريقية هي نفسُها الحروف التي استعان بها فانتور في كتابته اللاّتينية الموازية للعربية بحيث رمز ل: ع : â ،غ : gh ، خ : kh .

و إنْ نحن تأملنا أيضاً تشخيص فانتور دي بارادي لعقلية وفكر البربريِّ، لاحظنا أنَّ مثل هذه المواقف لا تبتعد كثيرا عن تلك الاستنتاجات؛ إذ يقول هو الآخر أيضا:"...فالإنسان [عند البربري] ليس معرضا للكسل، وللموت، بل هو كسول، وهو ميت؛ والخبز- عنده- ليست له استدارة بل هو دائري..."[53]

وفعلا فعند هؤلاء (البربر) اللاتينية ليست لها -ككلِّ اللّغات - قابلية للتّطوّر. بل يرون اللاتينية متطوّرة يجب أن

نأخذها هي بحذافيرها لتقودنا إلى التطوّر !

لا يمكننا والوضع كما يبدو لنا هو هذا، أن نفسّر الأمور بعيدا عن المنظور الذي يؤلمنا، وأن نعتبر أنه ليس قدرًا – مع ذلك – على الأمازيغي المعروف بالحر.!

و مهما يكن من أمر، فقد نسي الباحثون أن النّقاش في هذه المسألة قد حاد عن أصله وبالتّالي فإنه ابتعد عن الهدف؛ والواقع أن مولود (ن) أيت معمر– كما يصرّ على تسميته أيت عمران حفاظا على التركيب الأمازيغي– قد وضع إصبعه على المسألة وحدد الإطار المناسب للغة قائلا: "يبدو لي شخصيا أن النقاش المطروح في بعض الحالات حول النظام الذي يمكن تبنيه أنه مناسبتي، أما الجوهر فمسألة صواب الإدراك: فالبربرية يجب أن تكتب بالبربرية"[54].

أما آيت عمران، فيصرّ على أنّ اختيار اللاتينية ضرورة لا بدّ منها و لابدّ من تجاوز كل الاعتبارات العاطفية والأخذ بهذه الأبجدية التي يفرضها العصر والتطور العلمي الذي يضمن لنا العصرنة: "فعلى عتبة القرن الواحد والعشرين لا يوجد إلاَّ نظام واحد للكتابة مهيّئ للعصرنة ... هو ذلك الذي يستعمل الستة والعشرين حرفا من الأبجدية اللاتينية"[55]. وعليه فهذه الحروف اللاتينية الّتي يقترحها على الأمازيغيين آيت عمران وغيره من الباحثين المعاصرين، لكتابة الأمازيغية الحديثة، بالترتيب الذي جاءت عليه في الجدول[56]:

a, â, b, ch, ç(th), d, e, f, g, gh, h,ḥ, i, j, dj, k, kh, l,m, n, q, r, ṛ, s, ṣ, t, tt (ts), u, w, y, ẓ, z, dz.

مع الإشارة إلى أن:

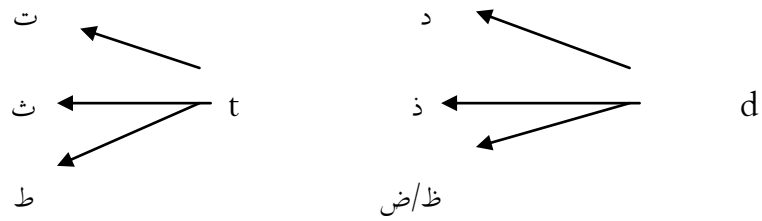

إذْ لم توضع نقاط تحت هذين الحرفين للتّمييز بينها في الجدول بينما نعثر عليها في أماكن أخرى منقوطة. و هكذا تعوَّض الحروف الإغريقية بالحروف اللاتينية كالآتي:

خ = X ⟸ kh؛ ع = ε ⟸ â؛ غ = X ⟸ gh.

وبهذه الحروف كتب أيت عمران الفصل الثالث من كتابه المذكور آنفا، والمكوّن من بحثين:

- الأوّل: ثِيرَ – أبَشَدْ ⟸ Tira- abachad أي: الكتابة– الأبجدية من 78-83 .

- الثاني: أَكَتَابْ ⟸ Akatab أي: الإملاء أو الكتابة الإملائية.

مطبِّقا هذه الأبجدية ومصرّا على التّأكيد قائلا: "الأبجدية الّتي اقترحتها لا تستعمل إلاّ الحروف اللاتينية بدون حروف أجنبية...."[55]

ومن بين الحروف "الأجنبية" التي توقَّف عندها شارحا دواعي استبدالها بل الحرف الوحيد الذي علّل به استبداله، هو حرف العين المرموز له في الأبجدية السّابقة بالحرف الإغريقي ε "épsilon"، الشبيه بالحرف العربي "ع" وهذا قوله نصّا:"أمّا الحرف العربي– ع– الذي دخل حتى في الكتابة الأمازيغية، فهو مصيبة عظمى، لأنه صوت أجنبي على الأمازيغية الأصلية. يبدو لي أن هذا الحرف لا هو جميل ولا مفيد؛ فقد جعل نظامنا الصوتي مضطربا، وخرّب كلمات القبائلية الأصلية.....لابدّ أن نزيله من الكتابة، حتى لا نثقل أبجديتنا."[56]

وندرج الفقرة الأصلية كما كتبها بالقبائلية، كنموذج تطبيقي لهذه الكتابة، تاركين للقارئ الكريم مجال التّأمّل في الشّكل والمضمون، ومع ذلك، فلو أن هذا النصّ لم يدرج في مؤلَّف اعتبره صاحبه دراسةً موضوعية، كما اتّخذه آخرون مرجعا لأبحاثهم ما أوليناه الأهمية العلمية، فأدنى ما يمكن أن نصفه به أنّه بعيد عن الموضوعية:

« Ma d imesli ârab - ع - idd ikechemen di tmazight ula di tira, d tawaghit tamequrant, akhater d imesli aberrani ghef tmazight taneslit.Ichebbayi rebbi tafinaght agi ur techbih ur terbih.Terwi yekkw ttawil n egh asilsaw (notre système phonétique) u tessekhreb awaln n taq bailit in es liyen....Yessefk at nekkes si tira i wakkn ur nessazay ara a bachad negh. »

فِعلا يعتبر معظم الباحثين أن حرف العين، وأيضا حرف الحاء، من الحروف التي لم يُعثر عليها في النّقوش اللّبيبة المكتشفة، ومن هنا الاعتقاد في أنّهما حرفان دخيلان.

ومع ذلك فإنّ إشارة العالم روني باسي إلى وجود هذا الحرف– ع– في اللهجة "الغدامسية" ولهجة "زناقة" في كلمات أمازيغية الأصل يجعل فكرة اعتباره حرفا دخيلا أمرٌ فيه نظر.

ولكن يبدو أن حرف "الحاء" هو أوفر حظا– عند آيت عمران–، فرمزه اللاتيني "h" لا يثقل الأبجدية فلا داعي لإزالته!! بخلاف حرف " ε " فهو عربي نطقا ورسما، تطفّل على الخط كما تطفّل على اللغة! وقد يكون هذا لحرف هو الحافز الأساسي و الملهم لوضع أبجدية جديدة أنقى وأصفى من الأبجدية الإغريقية–اللاتينية التي كثيرا ما يستعملها المستشرقون لنسخ

"اللغات السامية"[59]!! على حد تعبير لحسن بحبوح، وهو من دعاة الكتابة بالحروف اللاتينية- وتلك قناعة لا تناقش خارج سياقها- خاصة أنه يعتبر الأمازيغية جرمانية الأصل!!؟

بينما يرى اللساني المتخصّص في اللهجات الأمازيغية سالم شاكر- على خلاف أيت عمران- أن الحرف الإغريقي: (ε)، إضافة إلى تأدية الوظيفة الصّوتية التي اختير لها، فهو "يملك ميزة التّذكير بالحرف العربي. في حين أن الإشارة القديمة بالمدّة الفرنسية فوق الصّائت [â] غير ملائمة تماما للسّياق الصّوتي"[60]، وفعلا ... هناك فرق بين آ و ع.

وعلى كل لم نقصد من وراء ما ذكرنا، التركيز على الاختلاف في الرأي، وإن كان بالاختلاف تنجلي الأمور وتتّضح الحقائق، ثم تأتي القناعات العلمية اعتمادا على قوة ومنطقية الأدلة والحجج وليس على الانطباعات الخاصة، والآراء الذاتية؛ وإنما كان هدفنا التركيز على طريقة طرح الموضوع التي تعطيه- في نهاية الأمر- القيمة العلمية وإن رفضت الفكرة أو اختلف حولها.

وعلى كلّ يبدو أن مشكل كتابة الأمازيغية يبقى مطروحا، ولم يشُقَّ بعد طريقه الصحيح، في هذا المفترق الحضاري الذي أُرجع إليه مرة أخرى. ولهذا يجب التنبيه إلى ضرورة حُسن الاختيار، بناء على معطيات حضارية وتاريخية واجتماعيّة وعلمية (لسانية). ولكن يبدو أن مقولة مولود معمري "البربرية لا بد أن تكتب بالبربرية"، قد نسيها – أو تخلى عنها- الدارسون (البربر) خلال ربحهم للوقت في الاستعانة بالأداة التي وضعها العلماء الفرنسيون لدراسة الأمازيغية، فراحوا يطالبون بجعلها أبجديةً للأمازيغية.

مع العلم أنّ للأمازيغية نظامُها الأبجدي، ورمزها الخطي، والأكيد أن الذي يستوعب الأمور ولا يكتفي بالتّقليد، يدرك أن الخطّ كاللغة رمز من الرموز المكوّنة لشخصية الأمة، وشكل مميَّز يجسد أفكارها ومآثرها عبر لغتها؛ ولعلّ وعي الصيني والياباني، والعربي، بل وحتى الإسرائيلي لقيمة هذا الهيكل الحضاري، الذي يقوْلب الزاد الثقافي والمعرفي لأيّة أمّة ،ويعطيها الطّابع المتميّز بخصائصها الذّاتية ويفتح لها المجال الإنساني الواسع لتبرهن على قدراتها بثقة وثبات، يختلف عن وعي التّركي والفيتنامي، والنّيجيري....فما هو يا ترى مصير الخطّ الأمازيغي ؟!

5- مصير الأبجدية الأمازيغية ثيفيناغ:

لقد حفظ التاريخ للأمازيغية رسمَها في تلك النقوش والكتابات البدائية المسمّاة بالليبية، وإن لم تستعمل كوعاء للفكر الأمازيغي، ثم زالت هذه الكتابة من حياة الأمازيغ لانعدام ضرورة وجودها في المناطق الشمالية؛ ولكن استطاعت أن تصمد في الصحراء حيث بقيت تستعمل عند الطّوارق الأمازيغ بصورة محدودة جدًّا، قد تصل في أحسن الحالات إلى رسائل شخصيّة، وهي

الأبجدية المسماة بثفناغ التي بقيت مجرد رموز ثقافية إذ "لم تستعمل أبداً سندًا للذّاكرة الجماعية (الأدبية والمؤسساتية والتاريخية)، فالكتابات القليلة ذات الطّابع الرّسمي– حتّى عندهم [أي الطّوارق]– محرّرة بالعربية"[61].

ومع هذا تبقى هذه الكتابة رمزا حيّا من رموز هذه اللغة، وشَاهِدا ناطقا على أنّ أجدادنا الأمازيغ وضعوا قواعد تضمن بقاء اللّغة عبر التاريخ وهي الكتابة، متأثّرين بالحضارات المشرقية. لأنّها تحمل جل خصائص الكتابات السامية ممّا جعل المستشرق الألماني المتخصّص في هذه الكتابات والنّقوش يعتبرها كتابة من كتابات صحراء شبه الجزيرة العربية.

فهي بالإضافة إلى الشّبه الموجود في مستوى الرّموز المستعملة فإنها عبارة عن هيكل من الصّوامت، يُخطّ – أصلا– من اليمين إلى اليسار. وقد أكّد ذلك معظم المستشرقين الأوائل أمثال: هالفي، لتمان، روبي باسي، جودا...

وأكّدت الأعمال اللّسانية التي جمعها كلٌّ من القسّ شارل فوكو، والجنرال هانوتو، – وتعدّ أعمال القس فوكو من أهمّ المصادرالتي اهتمّت بمختلفة اللّهجات الطّارقية –، إذ جمع مختلف الآثار الأدبية، وسجّل نصوصها بخط ثفناغ محافظا على خصائص هذه الكتابة كما هي مستعملة عند أصحابها، (كتدوين كلّ النّصوص من اليمين إلى اليسار)، ويبقى معجمه الشّهير:"معجم طارقية– فرنسية" في أربعة مجلّدات من أهمّ الآثار إلى يومنا هذا في صناعة المعاجم البربرية، حتى وإن كناّ لا نرى في مؤلِّفه إلاّ رائدا للاستعمار الفرنسي."[62]

كما حافظ أيضا الجنرال هانوتو على خصائص ثفناغ التي أشار إلى أنّها خصائص سامية؛ وقد سجّل نصوصها هو الآخر من اليمين إلى اليسار. إلاّ أنّ مجرى الأحداث قد تغيّر، وأدخلت ثفناغ مرحلة جديدة، مرحلة التّغيير؛ ولا أقول مرحلة التطوُّر، فليس من أهداف هذا التّغيير تطوير هذه الكتابة وجعلها أبجدية عملية تساير طموح اللغة الأمازيغية الحديثة! إنّما اتّخذت شعارا لهوية الأمازيغ الأصلية، التي يجب إحياؤها من جديد بكلّ عناصرها. وقد تولّت الأكاديمية البربرية لباريس مهمة نشر هذه الأبجدية من جديد، بعدما أدخلت عليها– تغيرات شكلية– ولكنها - في نظرنا - ذات بعد حضاري، وذلك سنة 1967 ؛ وحتى تجد هذه الأبجدية الصّدى المنشود– الذي لم تجده في مسقط رأسها في صحراء الجزائر– في الأوساط الأمازيغية كُيّفت الأبجدية الجديدة بحيث توافق اللهجة القبائلية. وفعلا كان انتشارها سريعا مما جعل اللساني سالم شاكر يصرّح بخطورة هذا العمل على اللّغة الأمازيغية نفسها قائلا: " يبدو لي أن الانتشار السريع لكتابة ثفناغ النّاتج عن أعمال بعض الجماعات، أنّه المثال النّموذجي للخطر. إن ثيفيناغ المعصرنة والمكيَّفة للّهجة القبائلية، أثارت خرابا حقيقيا في منطقة القبائل، دون أن تكون لها فائدة الكتابة الفونولوجية أو البربرية الموحّدة، ويتعلّق الأمر– في الواقع – بكتابة صوتية للقبائلية بأبجدية ثفناغ المحرَّفة لا غير."[63]

ولعلّ أهم تحريف قامت به هذه الأكاديمية الفرنسية المسماة "أكرُا وْ أُمَازِيغْ"، أو الأكاديمية البربرية، هو كتابة ثفناغ من اليسار إلى اليمين. وهنا نتساءل هل يفهم الطّارقي ما سيكتبه له القبائلي وهو الذي يكتب من اليمين إلى اليسار؟!. قد يبدو

الأمر شكلياّ للبعض، ولكن لولا أهميته الحضارية عند البعض الآخر، ما كلّف نفسه عناء التغيير، وكما أن الحرف ليس مجرد شكل، فإن لاتجاهاته قيمة في تحديد المسار الحضاري، فعلا: "إن الكتابة من اليمين إلى اليسار، أو من اليسار إلى اليمين هي قاعدة من القواعد التي تجمع وتفرّق في كبريات الشّأن الثّقافي التي يمتاز بها قوم عن قوم."[64]

ولهذا قرّر الراهب "الأخ جان ماري كورتيد" أن يعيد نشر معجم فوكو الشّهير حول اللغة الطارقية، مسجّلا كتابة ثفناغ من اليسار إلى اليمين.

وليس من الصّدفة أن يطبع هذا المؤلّف بالموازاة مع أعمال الأكاديمية البربرية ويُنشر سنة 1967،[65] وما يزيد من أهمية هذا العمل- في الأوساط الأمازيغية- هو مشاركة مولود معمري في إنجازه والتّقديم له، وبهذه البصمات الأمازيغية يكتسب هذا الإنجاز التّغريبي- بتحريف وتغيير مجرى ثيفيناغ- المصداقية.

وفعلا انتشرت هذه الحروف، كشعار للهوية الأمازيغية. ولكن سرعان ما خفت حدّة الحماس، بل ولم تعد كتابة ثفناغ مرغوبا فيها مع ما عرفته من تغيرات، لأنها في الواقع لم تكن إلاّ مرحلة أولى- مرحلة إثارة الهوية بعناصرها- لتأتي مرحلة كتابتها بالإغريقية- اللاتينية التي سَتُمهّد للمرحلة الحاسمة مرحلة كتابتها بالفرنسية! وفعلا يعود "الأكاديميون مرة أخرى باقتراحات جديدة".[66]!!

و يلخّص لحسن بحبوح الذي يعتبر نفسه أحد "ورثة الأكاديمية السّابقة"[67] هذا الاقتراح في ما يأتي:" إن ثفناغ،- في رأيي- مقصاة، ومحلاة عن نظام الكتابة من ميدان التّنافس على الكتابة الإملائية الأمازيغية"[68] كما وجّه دعوة "للمرافعة والدّفاع من أجل استعمال الحروف اللاّتينية للكتابة الأمازيغية".[69]

وفعلا تُلَبَّ هذه الدعوى؛ وتصبح الأبجدية اللاّتينية في نظر هؤلاء ضرورة، وليست مجرّد اختيار؛ ليعلن الجميع على أنّ ثفناغ عنصر ثابت من عناصر هويتنا ورمز هامّ من رموزنا الثّقافية، يجب الحفاظ عليه، ولكن بعيدا عن الاستعمال !! فقد انتهت مهمّتها التي أدّتها بنجاح في الوقت المخصّص لها! وبرهنت للّذين أرادوا أن يرسّخوا الاعتقاد بأن الأمازيغية مجرّد لغة شفوية لا تملك حروفا خاصة بها بكلّ قوّة وشراسة[70]، إلا أنّ مصير الأمازيغية مرهون بالأبجدية اللاّتينية، هذا هو مصير ثيفيناغ!! وهو في الواقع لا يختلف عن المصير الذي آلت إليه هذه الكتابة الأمازيغية – التي احتفظ بها لقرون طويلة طوارق الصحراء- في دول السّاحل: النيجر والمالي؛ إذ بعد مؤتمر باماكو لسنة 1966 تبنّت هاتين الدّولتين الأبجدية اللاّتينية المقترحة من طرف خبراء من اليونسكو لكتابة اللّهجة الطارقية[71]؛ والاستغناء عن كتابتها الأصليّة ثيفيناغ.

وهي إذن عندنا مسألة وقت لإعداد القناعات؛ وهكذا يبقى مشكل كتابة الأمازيغية مطروحا، فبأي أبجدية نكتب لغتنا يا تُرى، لغة الأجداد؟!! أنكتبها بالأبجدية الأصلية أبجدية ثفناغ؟ وبأيّهما؟

1- أَبِالأبجدية الأصلية: ثيفيناغ الطوارق؟ أم بالأبجدية المحرّفة: ثيفيناغ الأكاديميين ؟

2- أم بالأبجدية العربية؟

3- أم بالأبجدية الفرنسية؟

وعلى المعنيين بالأمر- هذه المرّة- أن يهتموا بحلّ هذا المشكل المطروح منذ 1830.

إذ على عاتق العلماء والباحثين تقع مسؤولية معالجة هذه القضية اللغوية، بناء على المعطيات الحضارية والتاريخية، فاللغة هي لسان الأمّة ووعاء فكرها وثقافتها، وهي وسيلة التواصل بين أجيالها، ولابد أن تحظّ برموزها الحضاريّة التي تربط بين حلقات تاريخها.

وما من شكٍّ أنّ العالم الخبير، والباحث المدقّق، يدرك أن الإنسان هو الذي يدفع لغته للتقدّم الحضاريّ، بما ينجزه لها وبها من جلائل الأعمال في مختلف الميادين، ولا يحصل هذا التّقدّم- أبدا- بالانسلاخ من الخصائص الذاتية وتبنِّي خصائص الغير، فهذا التّقليد إنّما هو مجرّد إعلان عن الضّعف الذّاتي وتصريح بالتّبعيّة الحضارية.

ثم تتلوها معطيات علمية لسانية، وتربوية تعليمية؛ فالدّراسات الجادّة، والأبحاث المتواصلة لتطوير اللغة،- مع ترقية المناهج التّربوية والتّعليمية- كفيلة بتحقيق النتائج المرجوّة في الإطار الحضاري الذي تنتمي إليه هذه الأمّة.

هوامش المقال:

[1] – ينظر: COULMAS, Florian, (2003) : Writing systems, An Introduction to their Linguistic Analysis, CAMBRIDGE University Press. P. 1.

[2] – ابن خلدون: **المقدمة**، دار الكتاب، بيروت، 1958. ص 1053.

[3] – نفسه: ص 1075.

[4] – شفيق (محمد) ، 1989: **لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين**، دار الكلام، المغرب، ص 63.

[*] – انظر: BASSET (H) , 1920: Essai sur la littérature des berbère, ancienne maison Bastide, Jourdan, Alger., pp 22-24.

[5] – المرجع نفسه، ص 62.

[6] – نفسه، ص 24.

[7] انظر: RÉNAN (E) ,1878: Histoire générale et systèmes comparés des langues sémitiques,5ème édition, revue et augmentée, ancienne maison Michel Lévy-Frères, Paris, p.200.

[8] – ولفنس (اسرائيل، أبو ذؤيب) ، 1929: **تاريخ اللغات السامية**، لجنة التأليف والترجمة والطبع: مطبعة الاعتماد، القاهرة، ص.196

[9] – ينظر: BASSET (H): op. cit., p. 64.

[10] – ينظر: BASSET (A) , 1952: Langue berbère, published by the internatioanl african institue, by Oxford University press, London, Newyork, Torento, P.46.

[11] – ينظر: BASSET (H): op. cit., p. 65.

[12] – المصدر نفسه، ص 65.

[13] – نفسه ، ص 65 عن: MOTYLINSKI: L'Aquida des abadhites, acte du XIV cong d'orient, Alger, 1905, p. 505-545.

[14] – نفس المصدر، ص 65 عن: MOTYLINSKI: Le Manuscrit arabo-berbère de Zouagha, acte du XIV cong d'orient, Alger, 1905, T_{II}, p. 68-69.

[15] – نفسه، ص 66.

[16] – مذكر (إبراهيم بيومي) 1973 : العربية بين اللغات العالمية الكبرى، محاضرة ألقيت في جامعة بيروت بتاريخ 23 ربيع الأول 1393، الموافق ل25 أفريل. (مطبوع)، ص 8.

[17] – فهو يعتبرها من اللغات الحامية على غرار الكثير من المستشرقين الفرنسيين، وهي نظرية تجاوزتها الدراسات الحديثة؛ انظر في هذا الصدد:

[18] – بن تريدي (أنيسة) ، 2000 : الأمازيغية لغة سامية في بنيتها، دراسة مقارنة لأهمّ الظّواهر المشتركة بين الأمازيغية (اللّهجة القبائلية) والعربية: في الصوت والصرف و التركيب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ص234 وما بعدها.

[19] – ينظر: SCOLIN (Georges) 1931: Compte-rendu sur l'ouvrage de Dhorme: Langues et écritures sémitiques, in **Héspéris**: archives berbères et bulletin de l'institut des hautes études marocaines, T XII, Librairie la Rose, Paris, P.134.

[20] – ينظر: BOULIFA (S)1913: Méthode de langue Kabyle, cours de 2eme année étude linguistique et sociologique sur la Kabylie de Djurdjura, Adolphe Jourdan, Alger, P.346

.

وقد كان سعيد بوليفة أستاذا مكلّفا بالدروس التّطبيقية في هذه الكلّية.

[21] – المرجع نفسه: ص 364.

[22] – بن منصور (عبد الوهّاب) 1968 : قبائل المغرب، ج 1 المطبعة الملكية، الرياض،. ص 280.

[23] – ينظر: HANOTEAU (A.) : Essai de grammaire Kabyle, édition Bastide, Alger, p.3.

[24] – نفس المصدر، ص 19.

[25] – ينظر مؤلّفه: Essai de grammaire de Tamachek , 2ème édition, lib. Jourdan, Alger, 1896.

[26] – ينظر: HANOTEAU: Essai de grammaire Kabyle, p.2.

[27]- نفس المصدر: ص 2-3.

وقد حصر هذه الصعوبات في بعض الطرق الإملائية لكتابة الهمزة: المفتوحة، المكسورة والمضمومة، مضيفا اختيار أهل العربية عدم شكل الكلمات، متجاهلا أو جاهلا ربما أن الأصل هو إثبات الشكل خاصة للمبتدئين، وتفضيل تركه للعارفين بالعربية، وهذه ميزة وليست نقصا أو صعوبة. أما الصعوبة التي ختم بها فهي حول الحروف الشمسية، داعيا في النهاية تصوُّر الصعوبات لقراءة نصوص قبائلية، و لكن كيف يا ترى قُرِأتْ المخطوطات السابقة في عصرها حتى من قِبل المستشرقين الذي أكّد أحدهم معرفة فحواها؟! ومع ذلك إذا ما قارنا بين هذه الصعوبات التي واجهت هانوتو، والصعوبات الإملائية التي تطرحها الكتابة الفرنسية للغتها لَبَدَت تلك أبسط من أن تذكر.

[28]- المصدر نفسه، ص 3.

[29]- نفسه، ص 4.

[30]- من بين هؤلاء الأدباء نذكر مولود فرعون، الذي نشر قصائد سي محند وامحند، الشاعر القبائلي المشهور، بهذا الخط أيضا:

FERAOUN (M)1956: Les poèmes de Si Mohand, éd. Minuit, Paris,.

وقد أعاد نشر هذه القصائد أيضا الأديب مولود معمري، بالكتابة الإغريقية-اللاتينية.

[31]- ينظر: BASSET (A). PICARD (A) 1948: Eléments de grammaire berbère,(kabylie, Irjen), Alger.

[32]- ينظر: DALLET (p.J.M.) VINCENNES (Sr.L.) , 1958 : Transcription du kabyle, fichier de documentation berbère, fort national , grande Kabylie, pp.4-10.

تجدر الإشارة إلى أن هذه الحروف . بهذا الترتيب أي حسب مخارجها . مصنّفة في جدول تحليليّ يصف هذه المخارج ويمثل لها بشواهد من القبائلية.

[33]- نفس المرجع، ص 7.

[34]- منها:

DALLET (J.M.) 1953: Le verbe Kabyle, F.D.B, Alger,

DALLET ET VINCENNES: Première initiation au kabyle F.D.B.:

- 1ere partie: Transcription du kabyle
- 2eme partie: Grammaire.
- 3eme partie: Exercices.

DALLET (J.M.) 1967: Contes kabyles inédits ,Kabylie de Djurdjura, Textes et traductions, 2eme série, F.D.B, Algérie,.

[35]- ينظر:

HAMMOUMA (H) 1987: Manuel de grammaire kabyle, préface sur M. Mammeri, Associdition, de la culture berbère, Paris, , la préface.

[36]- ينظر:

MAMMERI (M.) , 1967: Précis de grammaire berbère: Morphologie, Alger, pp.11-14.
Réédité par Innayas, 1992, pp.15-16.

وقد حاول في مقدمة هذا الكتاب أن يبرّر اختيار، هذه الأبجدية الفرنسيّة الوضع، على أساس أنّ الكتابة الليبية ثم ثيفيناغ مجال استعمالها محدود؛ ممتنعًا عن ذكر الأبجدية العربية بلفظها الاصطلاحي الصّريح رغم أنها استعملت بصورة أوسع من ثيفيناغ وحافظت بذلك على الأمازيغية وتاريخها ومكتفيا بهذا التلميح: ".. وفوق ذلك، فهي أبجدية مقطعية: لا تسجّل الصوائت... وبالتالي حلّ هذه الرموز يعدُّ مشكل كل الأبجديات السامية التي لا تسجل عادة إلا الصوامت". وعلى كل فنحن لا نرى ذلك نقصا أو لغزا يصعب حلّه، وإنّما هو خاصّةٌ من خصائص هذه اللغات، وقد عُمِدَ إلى حلّ هذا المشكل بالحركات المعروفة مع ما يقابلها من حركات المدّ؛ و الأمر في الواقع يحتاج إلى دراسة أعمق نتمنى أن يقوم بها مختصون.

[37]- شريفي (محمد بن سعيد) : قضايا الخط العربي المعاصر، تاريخه ووقائعه بالمجلة العربية للثقافة، السنة الثانية عشر، العدد الثالث والعشرون، ربيع الأول 1413، سبتمبر 1992، ص 155.

[38]- نفس المرجع، ص 161.

وفعلا فقد عرف الخطّ العربي مثلا إصلاحات عديدة قصد تطويره وتسهيل قراءته مع أبي الأسود الدؤلي، ونصر بن عامر ثم الخليل بن أحمد الفراهيدي.

[39]- الخليل النحوي: الحرف العربي في إفريقيا، بين المدّ والجزْرِ، المجلة العربية للثقافة، ع 23، سبتمبر 1992، ص176-177

[40]– ففي جمعهم ودراستهم للّغات الإفريقية . التي تبنّى أهلها الحرف العربيّ فأصبحت بذلك لغات أدب وثقافة بعد أن كانت محصورة في الخطاب الشفهي .كانوا يستعملون الحرف اللاتيني – تمهيدا له- بالموازاة مع الخط العربي، ليفرضوه فيما بعد مكان هذا الخطّ. ففي 1904 تقرّر كتابة الهوسا بالحرف اللاّتيني، وفي 1907 قررت ألمانيا منع استعمال الحرف العربي في شرق إفريقيا وأيضا في 1907 فرضت السلطات البريطانية اللغة السواحلية المكتوبة بالحرف اللاتيني في مجال التعليم... انظر: الحرف العربي في إفريقيا 173-174.

[41]– ينظر:

AIT AMRANE (Idir) , 1997: Pour la naissance et le développement de Tamazight, éditions Hiwar-Com, Algérie, p78.

[42]– نفس المرجع، ص 80.

[43]– نفسه، ص 70.

[44] – نفسه، ص 80. والملاحظ أن الجملة الاعتراضية المضافة في هذا النص، في الواقع ذكرها ايت عمران في الصفحة "14" في فقرة بالفرنسية في نفس الموضوع؛ أما النّص الأوّل المذكور في المتن فقد كتبه بالقبائلية في الفصل الذي خصّصه لها في (الصفحات 78-87). وقد رأينا ضرورة إدراجها تثبيتا للشهادة.

[45]– نفسه ، ص 14.

[46]– الخليل النحوي: الحرف العربي في إفريقيا، بين المد والجزر، ص 176.

[47] – ينظر:

AIT AMRANE (I): Pour la renaissance et le développement de Tamazight, p14.

[48]– المرجع نفسه، ص 16.

[49]– نفسه، ص 27-28.

[50]– نفسه ، ص 94-95

كما نجد فقرات من هذا النص في مؤلّف م.شراد، أدرجه هو الآخر كدعوة لضرورة اختيار الأبجدية الفرنسية (صفحة 38) عوض الأبجدية الإغريقية-اللاتينية التي كانت مجرد مرحلة لربح الوقت على حد تعبير أيت عمران وربما المصداقية أيضا، ما دامت ليست أبجدية فرنسية من شأنها أن تثير حفيظة: "الوطنيين" ويعزّز شراد دعوته الدآرسين للّهجة القبائلية الداعين لهذه الكتابة.

CHERAD (M.A) 1998: Pour une écriture moderne, et standardisée de la langue, Mazighe, éd. Bouchène, pp 75-78.

[51]– ينظر:

ASSET (H.): Essai sur la littérature des berbères, p.29.

[52]– المرجع نفسه، ص 33.

[53]– ينظر:

VENTURE DE PARADIS: Grammaire et dictionnaire abrégés de la langue berbère, préface de l'auteur, p. XVIII.

[54]– ينظر:

HAMOUMA (H): Manuel de grammaire berbère (kabyle), la préface.

[55]. **ينظر:**

CHERAD (M): Pour une écriture moderne et standarisée de la langue mazighe, p38

[56]. **ينظر:**

AIT AMRANE (I): Pour la renaissance et le développement de tamazight, P37

[57]– نفس المرجع : ص 73.

[58]– نفسه: ص 81.

[59]– ينظر: BAHBOUH (Lahsène): Les académiciens sont de retours, in **Tifinep**, revue trimestrielle N°2/91, centre culturel Aokas - Bejaia, p7

وقد تعرّض هو الآخر في مبحث للحرفين " h، ع (ε)، ولا يختلف كثيرا عن رأي أيت عمران، صص 23-22.

[60]. **ينظر:** CHAKER (S): Manuel de linguistique berbère,T.1, librairie Bouchène, Alger, 1991. p.112 و يعدّ شاكر من الباحثين اللسانيّين الذين يوظّفون الأبجدية الإغريقية اللاتينية في دراساتهم.

[61] – ينظر:

CHAKER (S): Manuel de linguistique berbère, T1, P 34.

عن المتخصص اللساني پراس في مؤلفه:

PRASSE (K.G): Manuel de grammaire touarègue (Tahaggart).

[62] – ينظر:

CHAKER (S: Manuel de linguistique berbère, T1, p 53

ومن بين أهمّ مؤلفات هذا الراهب– الذي كان ضابطا عسكريا ثم فضّل العمل التبشيري، فتأثيره أبلغ، ونتائجه أضمن وأهدافه أعمق وأوسع– ما يأتي:

FOUCOULD (Ch.de) et MOTYLINSKI (C):

- Texte touarègue en prose, édité par R.Basset 1922.

- Poésies touaregues, deux volumes, édité par R.Basset, Paris, 1925-1930.

- Dictionnaire abrégé tourèg-français des noms propres (dialectes de l'ahaggar) édité par R. BASSET, Paris.1940 .

- Dictionnaire toureg-français, 4 volumes, imprimerie nationale, Paris, 1951-1952.

[63] – ينظر: CHAKER (S): Manuel de linguistique berbère, p. 36-37.

بل ما زاد من تخوّفه هو تمادي هذه الجماعات في عدائها لكلّ ما ليس أمازيغيا، إذ انتقل الأمر إلى تصفية الأمازيغيّة من كلّ الألفاظ العربيّة الدخيلة فأضاف: "إن الخطر من البربريّة التقليدية هو أمر واقعيّ، توجد في بعض الأوساط مطاردة حقيقية لكلّ الألفاظ العربية الدخيلة " ص 37.

[64] – الخليل النحوي: الحرف العربي في أفريقيا، بين المد والجزر، ص 177.

[65] . ينظر: CORTADE (J.M) et MAMMERI (M)1967: Lexique français touareg, dialecte de l'ahaggar, travaux de C.R.A.P.E, Alger,.

[66] . ينظر: BAHBOUH (L): Les académiciens sont de retour, p.3.

[67] – المرجع نفسه، ص3.

[68] – نفسه، ص13.

[69] – نفسه، ص4.

[70] . ينظر:

CHERAD (M.A): Pour une écriture moderne et standarisée de la langue mazighe, p.41.

[71] . ينظر: CHAKER (S): Manuel de linguistique berbère, p.36